قصة يوسف الصديق عليه السلام بين العفة والتسامح :

النبي يوسف، أحد أنبياء الله تعالى، وهو ابن النبي يعقوب عليه السلام، حيث وردت قصته كاملة في سورة من سور القرآن الكريم، وقد ورد اسم يوسف 27 مرة في القرآن وسميت السورة الثانية عشر منه باسمه. وقد وصفه القرآن بأنه من عباد الله المخلَصين. واستفاد العلامة الطباطبائي من هذا الوصف أنه إضافة إلى عدم ارتكاب المعصية ما كان؛ ليهمّ بها بتاتا.

نبوته

عُدّ يوسف من الأنبياء العظام. وقد اعتبره الإمام الباقرعليه السلام نبياً ورسولاً، وذلك بحسب الآيات القرآنية.

وقد ورد في القرآن أن يوسف رأى في المنام أن الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً سجدت له،﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (سورة يوسف: 4). وقال بعض المفسرين أنها دلّت على نبوته في المستقبل. وكان تفسيره أن الشمس والقمر هما أبوه وأمه وأن النجوم هي إخوته، فبعد أن نال يوسف مكانة دنيوية ومعنوية قام كلهم بتعظيم يوسف.

وبناء على ما ورد في القرآن وبعد أن حكى يوسف منامه لأبيه يعقوب، حذّره من أن يحكي منامه لأخوته حتى لا يكيدوا له .

إلقاءه في البئر وانتقاله إلى مصدر :

امتلأت قلوب إخوة يوسف بالغيرة، فدبّروا مكيدة ليتخلصوا منه.

كان إخوة يوسف يعتقدون أن أباهم يعقوب يحبّ يوسف وبنيامين أكثر منهم وكانوا مستائين بهذا السبب. فذات يوم استأذنوا أباهم أن يذهبوا بيوسف معهم إلى الصحرا عند رعي الأغنام حتى يلعب. ولكن بحسب ما نقله الطباطبائي عن التوراة أن يعقوب هو الذي طلب من يوسف أن يصحب إخوته، ليتأكد من سلامة إخوته وسلامة الأغنام

وبعد أن أذن لهم يعقوب اصطحبوا يوسف معهم وألقوه في بئر، ورجعوا إلى أبيهم باكين وقالوا له إنا غفلنا عن يوسف فأكله الذئب، لكن يعقوب لم يصدّقهم، وأخذ يبكي على فراق يوسف فطال بكائه لأعوام إلى أن ذهبت عيناه.

ومن جانبه اتفق أن مرّت قافلة بالبئر فأخرجوا يوسف منها، وذهبوا به معهم إلى مصر ليبيعوه عبداً، فاشتراه عزيز مصر وهكذا انتقل يوسف إلى قصر عزيز مصر.

ليبيعوه عبداً، فاشتراه عزيز مصر وهكذا انتقل يوسف إلى قصر عزيز مصر.

همّ زليخا بيوسف لجماله

أكدت مصادر قصص القرآن أن يوسف كان له حظّ وافر من الجمال. فأحبّته زليخا امرأة عزيز مصر، وهمّت به، فتعفّف يوسف وأبى أن يستسلم لطلبها. وعندما علم الناس بهوى زليخا ليوسف أخذت بعض النساء تلوم زليخا، فأقامت مجلسا ودعتهنّ للحضور فيه وأمرت أن تُقدَّم لكل منهنّ سكّينة وفاكهة وعندها دعت يوسف إلى المجلس، فما إن رأينه حتى قطعن أيديهن. وبعد ذلك اليوم بدأت نساء يطلبن يوسف لأنفسهنّ، فدعا يوسف ربّه أن يخلّصه منهن وقال: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، فما إن مضت أيام حتى سجن يوسف بأمر زليخا.

من السجن إلى التمكين

تعبير رؤيا الملك وتفويض أمور مصر إليه كان يوسف يعرف علم تعبير الرؤيا، ففي المدة التي كان في السجن، حكى سجينان رؤياهما على يوسف، فعبّر منامهما: أن أحدهما سيقتل والآخر سيطلق سراحه، وسيصبح من المقربين للملك، فتحقق تعبيره. ثم رأى الملك في منامه أنّ ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ﴾. فعجز المعبّرون عن تعبيره، فتذكّر السجين الذي نجى من السجن أن يوسف خبير بتعبير الرؤيا، فأخبر الملك به. فأرسل الملك إليه ليعبر منامه، فقال يوسف سيأتي عليكم سبعة أعوام تمطر السماء وتكون الخصوبة، ثم تاتي سبعة أعوام تصابون فيها بالمجاعة، فأكد لهم يوسف أن يزرعوا في السبع الأولى ويدخروا ما يحصدونها في سنبله، حتى لا يفسد.

فلما سمع الملك بتعبير يوسف استحسنه ودعاه إليه، لكن عندما أتى رسول الملك إلى السجن قال له يوسف اسأل الملك ﴿مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ فدعا الملك النساء إلى قصره وسألهن عن القصة، فشهدت النساء ببراءة يوسف كما اعترفت زليخا بذنبها.

فأمر الملك بإطلاق سراح يوسف، فقرّبه إلى نفسه واختاره وزيرا له.

التسامح (النموذج الأكمل في العفو عند المقدرة)

تجلى تسامح يوسف -عليه السلام- في موقفه من إخوته الذين أساءوا إليه أعظم إساءة

توضيح عفو سيدنا يوسف عليه السلام الاعتراف بالخطأ

قبل العفو كثير من الناس ومن المثقفين يحتجون بعفو سيدنا يوسف بدون فهم وأحيانا بخلط الأمور ويقولون انه عفا عن اشقائه رغم جرمهم وفقط والبعض يستخدم ذلك للتدليس فى الحقوق وتمرير الظلم تحت العفو والحقيقة القرآنية فى عفو سيدنا يوسف كما جاءت فى القرآن وشرحها المفسرون ابن كثير والقرطبى والطبرى وغيرهم كثير كالآتي : الواقعة الأولى فى قول تعالى: ({قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ} هنا سيدنا يوسف اضمر فى نفسه ظلم اشقائه وقال بل انتم شر مكانا ولم يعف عنهم بسرعة ولم يقل لهم فى نفسه وهو نبى مسامحكم يا اشقائى فالظلم يجرح النفس حتى لو كانت نفس نبى لذلك الرد الفطرى السليم هو الحزن من الظلم والتبرؤ من الظالم وظلمه انتم شرمكانا ولو كان اخ شقيق أو أى انسان كان. الواقعة الثانية: المواجهة بين يوسف واخوته كما جاء فى القرآن: {قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ} [89: يوسف] واجههم يوسف بظلمهم وافتراءهم علانية ولم يسكت ويقول لا نتكلم فيما حدث بل واجههم ليعلم المخطئ خطأه ويعلم الناس أن الحق لابد أن يعلو وهنا لم يعلمهم يوسف ثم يسامحهم بل ننتقل إلى الواقعة الثالثة. الواقعة الثالثة: كما جاءت فى القرآن {قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ}. الاعتراف العلنى الواضح من اشقائه بالخطأ وتعمد الخطأ وان كنا لخاطئين ولم يقولوا اعف عنا ولاتحرجنا أو يكذبوا ويبرووا ظلمهم بل اعتراف واضح صريح بداية ثم هنا

ننتقل إلى الواقعة الرابعة. الواقعة الرابعة والاخيرة:{قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} عفا سيدنا يوسف بعد أن شعر بالحزن من ظلمهم ووصفهم بالشر وبعد اعلانهم بظلمهم علانية فى المواجهة وبعد اعترافه بالخطأ وتعمدهم كان العفو هنا وهو النبى الممكن ولايليق به غير العفو ولكن كان بعد استيفاء الحق وتبينه والاعتراف ولقد أوضح الله عزوجل فى كتابه استيفاء الحقوق فقال: {وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ} وجعل العفو فضيلة فقال {وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ}. ومن هنا يتبين خلط الأمور عند الناس واستدلاهم فى عفو سيدنا يوسف عليه السلام بدون فهم ووعى فإنه ان عفا المظلوم بدون تبيان الحق ضاعت الحقيقة ولم يرتدع ظالم .

الدروس والعبر من قصة يوسف عليه السلام

الصبر مفتاح الفرج: فقد صبر يوسف على ظلم إخوته، وعلى السجن، حتى أكرمه الله بالتمكين.

التقوى والعفة طريق العزة: حين اختار السجن على المعصية، رفعه الله وجعله من المكرمين.

الثقة بالله لا تخيب: فمهما اشتدت المحن، فإن الله لا يضيع عباده الصالحين.

العفو صفة الأنبياء: فقد عفا يوسف عن إخوته رغم ظلمهم له، ليكون قدوة في الصفح.

التخطيط من الإيمان: فحكمته في إدارة أزمة المجاعة دليل على فقه الأنبياء في الحياة.

وفي الختام إن قصة يوسف عليه السلام ليست مجرد حكاية، بل هي منهج حياة. تُعلّمنا أن الطريق إلى الفرج قد يبدأ من الألم، وأن الصبر على البلاء هو مفتاح الرفعة في الدنيا والآخرة. في كل ابتلاء رسالة، وفي كل تأخير خير، فالله يُدبّر أمور عباده بحكمة لا نراها إلا بعد حين. قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة يوسف: 21).

في الختام، تبقى قصة يوسف عليه السلام درسًا خالدًا في الإيمان والصبر والعفو، وتذكيرًا بأنّ مع العسر يسرا. من كان مع الله، فلن يخذله الله أبدًا، ومن صدق في توكله، رفعه الله من ظلمات السجن إلى نور التمكين.